أحد آباء المجمع السابع

الرسول فيليبس أحد الشمامسة السبعة، ثاوفانس الموسوم

١١- ١٠ – ٢٠٠٩

الإنجيل لو ٨: ٥-١٥

الرسالة تي ٣: ٨-١٥

المجد للآب والإبن والروح القدس، الآن كل آن والى دهر الداهرين، آمين.

يركِّزُ القدِّيسُ لوقا على أنَّ الذين يُثمرون، يثمرون بالصبر. وهم لا يتململون، بل إنمَّا يثبتون في جهادهم ويقدِّمون أفضلَ ما يمكن من أجل محبَّةِ المسيح. فهم إذن يثمرون بالصبر، ولا يثمرون بالإستعجال. أمَّا الذين يريدون أن يأخذوا نتائجَ عظيمة بسرعة، فهم يتهوَّرون لأنَّ الحياةَ الروحيَّة لا تأتي هكذا اعتباطًا ولا تسرُّعًا، لكنَّها تأتي بتمهُّلٍ، بوعيٍ وبانسجامٍ بين ما يعطي اللّٰه من عملٍ وبين ما يقدِّم الإنسانُ من جهد. ونسمعُهُ في الفصلِ الآخر الذي تلوناه يقول: إنَّ الذين يثمرون أيضًا، هم يثمرون بسبب هذا التعاون بالضبط بين نعمةِ اللّٰه واجتهادهم. يحيون بموجب هذه الكلمة ويتقدَّسون فيها. ولا يمكنهم إلاَّ أن يروا، بِنورِ الرب، ماذا يريدُ الربّ، وما هي إرادته بالضبط في حياتهم، وكيف يتصرَّفون.

في هذه الحياة، نقفُ أحيانًا مواقف صعبة، حيث يُطلَب منَّا أمورٌ لم نعتَد عليها، لكنَّها مطلوبةٌ منَّا. فما هو الموقفُ الحقيقيُّ الذي ينبغي أن نقِفَه؟ حينما نقرأُ في الإنجيل، تستنيرُ عقولُنا ونرتفعُ إلى السماوات، ونحاول أن نطبِّقَ هذه الأقوال التي نسمعها ونتعلَّمُها. وعندما نطبِّقها، تعترضُنا الأمور التي في حياتنا والناس الذين حولنا، ولكنَّ اللّٰه قادرٌ في تلك الساعة أن ينيرَ عقولنا إذا كانت متَّجهةً إليه حقيقةً، فيعلِّمنا ما هو الموقف الجيِّد وما هو الكلامُ الصالح الذي ينبغي أن يُقال في تللك اللحظة. فلا نخافنّ، بل فلنثبت في جهادنا وفي أعمالنا وفي صبرنا على الأكثر، حتى نأتيَ بثمرٍ جيِّد. "الذي يعمل

ويعلِّم، هذا يُدعى عظيمًا في ملكوت السماوات". أمَّا الذي يُثرثر، فهو يتكلَّم من عقله، أمَّا قلبُه فليس متشوِّقًا إلى اللّٰه. ولذلك لا تأتي أعماله مطابقة لأقواله، أو قُل إنَّه يُعلِّم ما لا يعمل. فهو إذن يتدخَّلُ في أمورٍ لا يختبرها، وبالتالي لا يثمر لأنَّه لا يسكبُ قلبه، لا يقدِّمُ جهده، بل هو يقرأ في الكتب ويقول ما قد قرأه أو ما قد سمعه من آخرين. أمَّا اختبارُه الشخصيّ، فبعيدٌ كلَّ البُعد، لذلك لا يُثمر. وهو متسرِّع، لأنَّه يُعطي حلولاً ويقدِّمُ تحاليلاً ليست نابعة من خبرته، ولم يتعلَّمها بالإنسجام مع إرادةِ الربِّ وتعليمه، فلذلك يُخطئ. وقد يصبح كلامه بطَّالاً لأنَّه لا يصيب، لا يفيد ولا يبني. حتَّى ولو استخدَم كلماتٍ مقدَّسة، كلامُه بطَّالٌ لأنَّه لا يفيده ولا يبنيه، ولا يبني الآخرين.

إذن علينا بالصبر. الصبرُ لا يعني أن نمكثَ بدون عمل، بل أن نستمرَّ في عملنا، ولا نعتبره روتينًا يقتُلنا ويخنقنا، بل هو مجالٌ لاختبارنا اليوميّ. كلَّ يومٍ نختبر هل نحن نعرفُ إرادةَ الرب؟ هل نحن نحبُّ إرادة الرب؟ هل نحن نعملها بشوقٍ ومحبَّة؟ مثلاً، الراهبُ الذي يأتي إلى الدير أوَّل أمره، مهما كان قد قرأَ عن حياةِ الرهبنة أو التضحية والحياة الروحيَّة والخدمة، فإنَّه يقرأُ من بعيد، لكنَّه سرعان ما يتفاجأ بوجوده في الدير أنَّه لا يستطيع أن يُطيع مثلاً، أنَّه لا يستطيع أن يضحِّي. فإذا كان متسرِّعًا، لا يثبت ولا يأتي بِثَمر، لكنَّه يتركُ نفسَه للضجر، للتأسف ويبتعد. أما الذي يعرف نفسه تمام المعرفة أنه بالضبط لا يطيع، لا يتواضع، لا يمتلك فضائل حقيقيَّة، بصبره وبانسجامه مع نظام الدير وانضباطه في نظام الدير، فإنَّه يُصبح قدِّيسًا، لأنَّه بالصبر يمتلكُ هذه الفضائل ويُثمرُ ثمرًا صالحًا وجيِّدًا. عند ذاك، إذا ما حدَّثك عن الانضباط، يمكنك أن تفهمَ شيئًا. أمَّا إذا حدَّثك، وهو لم يختبر بعد، ولم يصر إلى هذا الحدِّ من الإنسحاق والتضحية والطاعة بتواضعٍ كلِّيّ، لا يستطيع أن يحدِّثك، لأنَّك تسمعُ ثرثرةً من فَمِهِ وكلامًا غير مفهوم، إذ ليس ينبعُ من خِبرة. لهذا يقول: يُثمرون بالصبر، أي يثابرون كلَّ يومٍ على هذا. لا تأتي الفضيلةُ هكذا بسرعة، ولا نصبحُ عظماءَ وقدِّيسين بسرعة، لأنَّ الأمرَ ليس سِحرًا وليس مجرَّدَ زرٍّ "نفقُصُه". الأمرُ يتطلَّبُ حياةً وتضحيةً وإلى الموت، حتى تثمرَ ثمرًا جيِّدًا.

لذلك أيُّها الأحبَّاء، في تعييدنا اليومَ للآباءِ القدِّيسين الذين اجتمعوا في المجمعِ

المسكونيِّ السابع، وأقرُّوا استقامةَ الرأي بأن نُكرِّم الإيقونات، معلِّمين إيَّانا أنَّها هي إشاراتٌ تبرزُ لنا حضورَ المسيح والقدِّيسين. ليسَت المسيح بحدِّ ذاتِه، وليست القدِّيسين، لكنَّها علاماتٌ تُشيرُ إلينا عن وجودِ القدِّيسين وعن وجودِ الربِّ يسوع. وكذلك علامةُ الصليبِ المقدَّس، هي ليست سِحرًا، لكنَّها ترفعُ عقولَنا إلى حادثةِ موتِ الربِّ على الصليب والخلاصِ الذي ينبعُ من هذا الموت، مع القيامة. وبنفسِ الوقت، نحن لا نسجدُ لها لأنَّها إله، لكنَّنا نُعبِّرُ عن احترامنا بهذا الإنحناء، بهذا التواضع، لأنَّنا نقرُّ بأنَّ نعمة اللّٰهَ وروحه القدُّوس موجودة في هذه الإيقونة. لأنَّ النعمة وُجِدَت في هذا الشخص الذي تمثِّلُه الإيقونة. فنحن نكرِّمها لأنَّها تحملُ النعمة، وليست مجرَّد خشبة ولوحة تزينيَّة، لكنَّها تحملُ النعمةَ التي يُعطيها اللّٰهُ لهذا القدِّيس بحياته وجهاده وأتعابه، فتستقرُّ على كلِّ أغراضه، على كلِّ ما يلامسه، على كلِّ ما يختصُّ به. تستقرُّ هذه النعمة الإلهيَّة في الإيقونة كذلك، لكي تبرزَ لنا حضور اللّٰه من خلالها وحضور القدِّيسين معنا. ففي بيوتنا نحتفظُ بالإيقونات، ولكن ليس في أيِّ مكانٍ، بل في مكانٍ لائقٍ نحترمها ونقدِّسها ونكرِّمها، لأنَّنا بذلك نعبِّر عن حبِّنا للمسيح ولقدِّيسيه، نعبِّرُ عن احترامنا لربِّنا ولقدِّيسيه الذين يتبارك بوجودهم ويتعظَّم اسمُه بينهم. وفيما نجدُ أنفسنا محاطين بهؤلاء القدِّيسين، نشعرُ بالراحة في تعبنا وفي جهادنا اليوميّ، ونمتلئُ من البركة والفرح، لأنَّنا نشاركهم. فنحن نصبح وإيَّاهم في شركة، كأنَّنا واحدٌ معهم. هم ينزلون إلينا، ونحن نرتفعُ بعقولنا إليهم، ونصبحُ على نفسِ المستوى، إن كنَّا نعِي أنَّنا نجاهدُ من أجل محبَّةِ المسيح. وهكذا نثمر، ويعطينا الربُّ أن يتألَّقَ اسمُه فينا.

فليُضئ نورُكم قدَّام الناس لكي، لا تكرِّموا الإيقونات فحسب، بل تتحوَّلوا أنتم بأنفسكم إلى إيقوناتٍ تبرزُ حضورَ المسيح وتجعل الكون منشَدًّا إليه. فيما يرونكم، يحبُّون اللّٰه الذي تمثِّلونه والذي تحملونه إليهم، وتقدِّسون أنفسكم والكون معكم. فليبارك الربُّ القدُّوس حياتكم، في هذه الصبيحة المباركة، ويجعل كلَّ واحدٍ منكم نورًا مشرقًا، يبرز حياةَ المسيح وخلاصَه، ويثمرُ في جهادِه المقدَّس، بصبرٍ وطيد، ثمرًا صالحًا ومبارَكًا، فيه يستقرُّ في فردوسِ الربّ، آمين.

الأرشمندريت المتوحّد بندلايمون

رئيس الدير